ICOMOS
international council on monuments and sites

ICCROM SHARJAH الشارقة

المَواثيقُ الدوليّةُ لِحفْظِ وتَرميمِ المَعَالِمِ والمَوَاقِع التَاريخِيَّة

الشارقة | 2023

ICOMOS
international council on monuments and sites

ICCROM SHARJAH الشارقة

المَواثيـقُ الدوليّـةُ لِحفْـظِ وتَرميمِ المَعَالِـمِ والمَوَاقِـع التَاريخِيَّـة

الشارقة | 2023

هـذ المنشـور غيـر هـادف للربـح، وجميـع حقـوق الملكيّـة الفكريّـة وحقـوق الإصـدار والطبـع والنشـر محفوظـة لإيكروم-الشـارقة و إيكومـوس 2023 ©.

الناشر:
المكتـب الإقليمـي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي – (إيكروم-الشـارقة)
المدينـة الجامعيّة، ص.ب. رقم: 48777 – الشـارقة، الإمارات العربيّة المتحدة

رقـم الإيداع الدوليّ الموحّد ISBN: 978-92-9077-301-6

هـذا الكتـاب الصـادر عـن (إيكروم-الشـارقة) هـو الترجمـة العربيّـة المُعتمَـدة مـن المجلـس الدولـيّ للمعالِـم والمواقـع – إيكومـوس صاحـب حقـوق الملكيّـة الفكريّـة وحقـوق الإصـدار والطبـع والنشـر للنصـوص الأصليّـة الصـادرة بالإنكليزيّـة.

يتـم توزيـع هـذا العمـل بموجـب ترخيـص الدولـي BY-NC-ND 4.0، والـذي يتيـح للمسـتخدمين نسـخ المـواد وتوزيعهـا لأغـراض غيـر تجاريـة فقـط مـع إرجـاع الإسـناد لأصحـاب حقـوق النشـر والتأليـف.

المجلس الدولـيّ للمعالم والمواقع – إيكوموس
International Council On Monuments and Sites
11 rue du Séminaire de Conflans
94220 Charenton-le-Pont
France
https://www.icomos.org

هيئة التحرير والإشراف:
د. زكـي أصـلان، الممثـل الاقليمي لمنظمة إيكروم للدول العربية ومدير المكتب الاقليمي (ايكروم - الشـارقة)
غايـا يونجبلودت، مديرة بالأمانــة الدولية للايكوموس
م. عبدالله حلاوة، مسـؤول، مشـاريع السياسات والدّراسات (إيكروم-الشارقة)

مستشارو إيكروم-الشارقة:
م. هزار عمران
م. أحمد سليمان
م. لينا قطيفان
أ. أيمن سليمان
م. رانيا عمر

فريق المراجعة (إيكوموس):
م. محمد يوسـف العيدروس (إيكوموس – السعودية)
م. فايقـة بيجاوي (إيكوموس – تونس)

التصميم:
محمد عرقسوسي

الصور الفوتوغرافية:
منتقـاة من مجموعة د. زكي أصلان

ميثاق إيكوموس حول المسارات الثّقافيّة (2008)

أعدّته اللّجنة العلميّة الدوليّة للمسارات الثّقافيّة (سي.آي.آي.سي) لإيكوموس
صدَّقت عليه الجمعيّة العامّة السادسة عشرة لإيكوموس
كِيبِيك (كندا) في *4* تشرين الأول/أكتوبر *2008*

تقديم

كنتيجةٍ لتنامي علوم الحفاظ على التّراث الثّقافيّ، يُظهِر المفهوم المُستحدَث للمسارات الثّقافيّة التطوّر في الأفكار فيما يتعلق برؤيةِ الممتلَكات الثّقافيّة، والتعاظُم في أهمّيّة القيم المرتبطة بحيِّزها المحيطيّ والإقليميّ، كما يكشف عن البنْية الكلّيّة للتّراث على مستوياتٍ مختلفة. ويطرحُ هذا المفهوم نموذجاً لأخلاقياتٍ جديدةٍ للحفاظ تنْظُر هذه القيم بصفتها تراثاً مشتركاً متجاوزاً للحدود الوطنيّة، ويتطلّب جهوداً مشتَرَكة لإدارته والحفاظ عليه. عن طريق احترام القيَم الجوهريّة لكلّ عنصرٍ مُنفردٍ، تُقِرُّ المسارات الثّقافيّة وتؤكّد على قيمةِ جميع عناصرها كأجزاءٍ معتَبَرةٍ لكلٍّ متكامل. كما أنها تساعد على إظهار الفهم الاجتماعي المعاصر لقيَم التّراث الثّقافيّ كموردٍ للتنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة.

يتطلّب هذا الفهمُ الأوسعُ للتّراث الثّقافيّ نُهُجاً جديدةً لمعالجته ضِمْن سياقٍ أكثر اتّساعاً من شأنه أن يُمكِّن من توصيف وحماية علاقاته ذات الدّلالة والتي تتصل مباشرةً بمحيطها الطّبيعيّ، والثّقافيّ والتاريخيّ. وضِمْن هذا التقدُّم، يُعَدُّ مفهوم المسارات الثّقافيّة مفهوماً مبتكراً، ومركَّباً، ومتعدّد الأبعاد؛ فهو يطرحُ ويمثّل (في حد ذاته) نَهْجاً جديداً من نوعه للنظريَّة والممارسة في الحفاظ على التّراث الثّقافيّ.

وتمثل المسارات الثّقافيّة عملياتٍ تفاعليّةً، وديناميكيّةً، ومتطوِّرة لروابط إنسانيّةٍ مابين الثّقافات بما يعكس التّعدُّديّة الثّريّة لإسهامات الشّعوب المختلفة في التّراث الثّقافيّ.

على الرغم من كون المسارات الثقافيّة قد نَتَجَت تاريخيّاً عن مواجهاتٍ إما سّلميّةٍ أو عدائيّةٍ على حدٍ سّواء، فهي تَعْرِض عدداً من الأبعاد المتبادَلة التي تَفُوق وظائفَها الأصليّة لتُقدِّم محيطاً استثنائيّاً لثقافة سّلامٍ ترتكز على روابط التّاريخ المتبادَل بالإضافة إلى التّسامح، والاحترام، والتقدير للتّعدُّديّة الثّقافيّة التي تَنطَبِع على الجماعات المعنيّة.

لا يتعارض أو يتداخل اعتبار المسارات الثّقافيّة مفهوماً جديداً أو فئةً جديدةً مع فئات أو أنواع الممتلكات الثّقافيّة الأخرى – كالمعالِم، والمدن، والمشاهد الثّقافيّة، والتّراث الصّناعيّ، إلخ. – التي يُمكِن لها أن تتواجد ضِمْن نطاق مسارٍ ثقافيٍّ مُعيَّن؛ فهو (ببساطة) من شأنه أن يُشْمِلها ضِمْن منظومةٍ مشتركةٍ تعزّز دلالتها الثّقافيّة.

ويخْلُق هذا الإطار المُدْمَج والمتبادَل وعبر التّخصُّصيّ علاقاتٍ جديدةً فيما بين هذه المُمتلَكات بواسطةِ منظورٍ علميٍّ مبتكر يطْرح رؤيةً متعدّدة الجوانب (توافقيّة)، وأكثر اكتمالاً ودقّةً للتاريخ. ولايكتفي هذا النَهْج فقط بتحفيز الفهم والتواصل بين شعوب العالم، بل إن من شأنه أيضاً أن يُزيد التعاونَ من أجل حفظ التّراث الثّقافيّ.

يكشف الابتكار الذي يطرحَه مفهوم "المسارات الثّقافيّة" عن المُكوِّن التراثيِّ لظاهرةٍ مُعيَّنةٍ للحركةِ والتّبادلِ الإنسانيِّ تطورَّت عبر مساراتٍ للاتصال مهَّدت بدورها لسريانها، والتي استُعمِلت أو خُصِّصت لخدمة غرضٍ خاصٍّ وواضح. ويُمْكِن لمسارٍ ثّقافيٍّ أن يكون طريقاً قد أُنشِئ خصيصاً ليخدم هذا الغرض أو مساراً يستفيد إما كلّيّاً أو جزئيّاً من طُرُقٍ سابقة الوجود تُستعمَل لأغراضٍ مختلفة. وبعيداً عن طابعه كطريقة للاتصال أو التنقُّل، فلا يمكن تبرير وجوده ودلالته كمسارٍ ثقافيٍّ إلّا من خلال استعماله لهذا الغرض (الثقافيّ) بعَينِه على مدى فترةٍ طويلةٍ من التاريخ، وإنتاجه لقيمٍ تراثيةٍ وممتلكاتٍ ثقافيةٍ متصلةٍ بها تعكس التأثيرات التبادُليّة بين المجموعات الثّقافيّة المختلفة كنتيجةٍ لديناميّاته (تفاعلاته) الخاصّة.

من ثم، لا يمكن اعتبار المسارات الثّقافيّة مجرّد طُرُقٍ بسيطةٍ للاتصال والتنقُّل قد تشتَمِل على ممتلكاتٍ ثقافيّةٍ وترتبط شعوباً مختلفة، بل هي ظواهرٌ تاريخيّة خاصّة لا يمكن أن تُصنع تجسيداً لخيال وإرادة شخصٍ ما لتأسيس مجموعةٍ من الأصول الثّقافيّة المتَّصِلة التي تمتلك مُميِّزاتٍ مشتَرَكة فيما بينها.

في بعض الحالات، أقيمت المساراتُ الثّقافيّةُ كمشروعٍ مُسْبق التخطيط بإرادةٍ إنسانيةٍ حازت ما يكفي من السُلْطة للاضطلاع بغرض محدَّد (على سبيل المثال، مسارات الإنكا والإمبراطوريّة الرومانيّة)، وفي حالاتٍ أخرى، كانت نتيجةً لعمليّةٍ تطوُّريّةٍ طويلةٍ تواكبت فيها تدخُّلات جمعية لعوامل إنسانية مختلفة ووُجِّهت نحو غرضٍ مشتَرَكٍ (مثل المسار إلى سانتياغو، أو مسارات القوافل التجارية الأفريقية، أو مسار الحرير)، وفي كلتا الحالتين، هي عملياتٌ نابعة من الإرادة الإنسانيّة لتحقيق هدفٍ محدَّد.

نظراً إلى الثراء والتنوع الثّقافيّ لكلٍّ من العلاقات البينيّة والأصول المميِّزة المتَّصِلة مباشرةً بالدافع وراء وجود المسارات الثّقافيّة (كالمعالِم، والبقايا الأثرية، والحواضر التاريخيّة، والعمارة العامّيّة، والتّراث غير الملموس، والصناعي، والتقني، والأشغال العامّة، والمشاهِد الثّقافيّة والطبيعيّة، ووسائل المواصلات والأمثلة الأخرى على تطبيق معارف ومهارات فنيّة نوعيّة)، تتطلب دراستها وإدارتها نهجاً متعدد التخصصات من شأنه أن يبيِّن الفرضيّات (الاحتمالات) العلميّة وينشِّطها، وأن يحفِّز استزادة المعارف التاريخيّة، والثّقافيّة، والتقنيّة، والفنيّة.

أهداف الميثاق

- وضع المبادئ والطُرُق الأساسيّة للبحث العلميّ فيما يختصّ بفئة المسارات الثّقافيّة في ضوء ارتباطها بالفئات الأخرى لأصول التّراث الثّقافيّ التي تم وضْعها ودراستها سابقاً.
- اقتراح الآليات الأساسية لبناء المعرفة حول المسارات الثّقافيّة، وتقييمها، وحمايتها، وحفظها، وإدارتها والحفاظ عليها.
- تحديد التوجيهات الإرشادية والمبادئ والمعايير الأساسيّة للاستعمال الصحيح للمسارات الثّقافيّة كموارد للتنمية الاجتماعية

والاقتصاديـة المسـتدامة، مـع احتـرام أصالتها، وتكامليّتها، والحفظ الملائـم، والدلالـة التاريخيّـة.

- وضـع قواعـد التعـاون الوطنـيّ والدولـيّ الـذي سـيكون ضروريـاً للإضطـلاع بمشـروعات البحـث، والحفـاظ، والتنميـة المرتبطـة بالمسـارات الثّقافيّـة، وكذلـك التمويـل الـلازم لهـذه الجهـود.

المصطلح

هـو أيّ مسـارٍ للاتّصـال، سـواءً بـرّيٍّ أو مائـيّ أو أي نـوع آخـر، مُحـدَّد فيزيائيـاً (ماديّـاً)، يتَّسِـم بوظيفيّـةٍ ديناميكيّـةٍ وتاريخيّـةٍ خاصّـة به تخدم غرضـاً نوعيّـاً محـدّداً بوضـوح، ويجـب لـه أن يسـتوفي الشـروط التاليـة:

أ. يجـب أن يَنْشـأ عـن وأن يعكـس التحـركات التفاعلية للنـاس، وكذلك التبـادلات البينيّـة، والمتواصلة، ومتعـدّدة الأبعـاد للبضائع، والأفكار، والمعـارف والقيَـم بيـن الشّـعوب، أو الـدول، أو الأقاليـم، أو القارّات علـى مـدى فتـراتٍ مُعتَبَرةٍ مـن الزّمن؛

ب. يجـب أن يكـون بذلـك قـد عـزّز التلاقُـح التبادُلـيّ للثّقافـات المتأثّرة بـه فـي المـكان والزّمـان، الأمـر الـذي ينعكـس فـي تراثها الملموس وغيـر الملموس؛

ج. يجـب أن يكـون قـد اندمَـج فـي منظومـةٍ ديناميكيّـةٍ مـن العلاقـات التاريخيّـة والممتلـكات الثّقافيّـة المتصلـة بوجـوده.

اصطلاح عناصر المسارات الثّقافيّة: السّياق، والمحتوى، والدّلالة الثّقافيّة التبادُليّة كوحدةٍ متكامِلة، والطّابع الديناميكيّ (الحيويّ)، والمحيط.

1. **السّـياق:** تنشـأ المسـارات الثّقافيّـة ضمن سـياقٍ طبيعـيٍّ و/أو ثقافيٍّ تؤثّـر فيـه وتسـهم فـي تمييـزه وإثرائـه بأبعـادٍ جديـدةٍ كجـزءٍ مـن عمليّـةٍ تفاعليّـة.

2. **المحتـوى:** يجـب أن يكـون المسـار الثّقافـيّ مدعومـاً بالضّـرورة بعناصـر ملموسـةٍ تشـهد علـى تراثـه الثّقافـيّ، وتُقَـدِّم التّأكيـد الفيزيائـيّ (المـادّيّ) علـى وجـوده. وتعمـل أيّة عناصر غير ملموسـة علـى إضفـاءِ منْطِـقٍ ومعنـىً علـى العناصـر المختلفـة التـي تشـكّل الوحـدة المتكاملـة.
   1. يُعَـدُّ العنصـر الفيزيائـي (المـادّيّ) الـذي لا غنـىً عنه فـي تقرير الوجـود لمسـارٍ ثّقافـيّ هـو مسـار الاتصـال نفسـه بصفتـه أداةً تخـدم مشـروعاً مصُمّمـاً أو ناشـئاً مـن خـلال نّشـاطٍ إنسـانيٍّ لتحقيـق أهـدافٍ محـدّدة.
   2. تُعَـدُّ العناصـر الأساسـيّة الأخـرى هـي أصـول التّـراث الملمـوس (المادّيّـة) المرتبطة بوظيفيّته كمسـارٍ تّاريخيّ (نقاط الاسـتعداد (التجهيـز)، ومكاتـب الجمـارك، وأماكـن التّخزيـن، والرّاحـة، والإقامـة، والمستشـفيات، والأسـواق، والموانـئ، والتّحصينـات الدّفاعيّـة، والجسـور، ووسـائل الاتصـال والنّقـل، والمنشـآت الصّناعيّـة أو التعدينيـة أو غيرهـا مـن المنشـآت، وكذلـك تلـك المرتبطـة بالتّصنيـع والتبـادُل التّجـاري والتي تعكـس التّطبيقات والتّقـدم التقنـيّ، والعلمـيّ، والاجتماعـيّ فـي مختلـف عصـوره، بالإضافـة إلـى المراكـز الحضَريَّة، والمشـاهد الثّقافيّـة، والمواقع المقدّسـة، وأماكـن العبـادة والتَنَسُّـك، إلـخ.) فضـلاً عـن عناصـر التّـراث غيـر الملمـوس التي تشـهد علـى عملية التّبـادل والحوار بيـن الشّـعوب المعنيّـة علـى طـول طريقـه.

3. **الدّلالـة الثّقافيّـة التبادُليّـة كوحـدةٍ متكاملة:** ينطوي مفهوم المسـار الثّقافـيّ علـى قيمـةٍ كلّيّـةٍ أكبـرَ مـن حاصِـل أجزائِـه، وهـي التـي تُضْفـي علـى المسـار معنـاه.
   1. يشـكّل المسـار الثّقافـيّ أصْـلاً ثقافيّـاً تُثريـه الثّقافـات المختلفة التـي لاقحهـا، وهـو يتجاوزهـا فـي القيمـة الكلّيّـة عبـر طَرْحـه لعـددٍ كبيـرٍ مـن المُميِّـزات المتبادَلـة ومنظومـات القيَـم.
   2. ضِمْـن الهويّـة الكلّيّـة للمسـار، تكمـن قيمـةُ أجزائـه فـي دلالتها المشـتَرَكة المتبادَلـة متعـدِّدة الأوجـه.
   3. إن المقيـاس الأوسـع للمسـار مـن شـأنه أن يتيح الربْـط الثقافيّ لشـعوبٍ، ودولٍ، وأقاليـم، وقـارّات.
   4. يُعَـدُّ اتّسـاع المقيـاس هامّـاً مـن حيـث كلٍّ مـن مسـاحة الحيازة (Territory) المتَضَمَّنـة والإدارة الشّـاملة للعناصـر التّراثيّـة المختلفـة المتضَمَّنـة بهـا، فـي حيـن يقـدّم التّنـوع الثّقافـيّ الـذي ينطـوي عليـه بديـلاً عـن عمليّـة المجانَسَـة الثّقافيـة (Cultural Homogenisation).

4. **الطابـع الديناميكـيّ (الحيـويّ):** بالإضافـة إلـى كونهـا تقـدِّم، إلـى جانـب عناصـر التـراث الثقافيّ، دلائـل ماديّـةً على طريقها التاريخيّ، تتضمـن المسـارات الثّقافيّـة عامـلاً ديناميكيّـاً مـن شـأنه أن يعمـل كموصِّـلٍ أو كقنـاةٍ انسـابت من خلالهـا التّأثيرات الثّقافيّـة المتبادَلة.
   1. لا تخضـع ديناميّة المسـار الثّقافيّ للقوانيـن الطبيعية أو الظواهر السّـببيّة (الاعتياديّـة)، ولكنها تخضع حصريـاً للعمليّات والمصالح الإنسـانيّة، ومـن ثَـم لا يمكن فهمهـا إلا كظاهـرةٍ ثقافيّة.
   2. لا ينحصـر تجلّـي هـذا الانسـياب الحيـويّ للثّقافـة فـي الجوانب الماديّـة أو الملموسـة فحسـب، بـل كذلـك فـي الـرّوح والتّقاليد التـي تشـكِّلُ التّـراثَ غيـر الملمـوس للمسـارات الثّقافيّـة.
   3. مـن خلال فهـم المسـار الثّقافيّ باعتبـاره مجموعة مـن العناصر الديناميكيّـة للاتصـال الثّقافـيّ بيـن الشّـعوب، يمكـن تقديـر مـا يتضمَّنـه مـن أصـول (مادّيّـة) للتراث الثقافـيّ في إطـار أبعادها المكانيّـة والتّاريخيّـة الحقيقيّـة. الأمـر الـذي يتيـح تبنّـي نَهْـجٍ شـاملٍ ومسـتدامٍ للحفـاظ علـى المسـار كوحـدةٍ متكاملـة.

5. **المحيـط:** يرتبـط المسـار الثّقافـيّ بمحيطـه ارتباطـاً وثيقـاً ويشـكّل جـزءاً لا يتجـزّأ منـه.
   1. لقـد سـاهم المحيـط الجغرافـيّ في تشـكيل المسـار الثّقافيّ إما بتحديـد طريقـه أو بالتّأثيـر فـي تطـوّره علـى مـرّ الزّمن.
   2. إن المحيـط الحيـازيّ (Territorial Setting)، سـواءً طَبيعـيّ أو ثّقافـيّ (حَضَـريّ أو رِيفـيّ)، من شـأنه أن يوفِّر إطار العمل للمسـار الثّقافـيّ، وأن يُضْفـي عليـه جـوّه الخـاصّ، كمـا أنـه يتميَّـز بعناصر وقيَم تتَّسـم بكلٍّ من الطبيعة الفيزيائيّة (المادّيّة) وغير الملموسة، وهو أساسـيٌّ لإدراك (اسـتيعاب) المسار وللحفاظ عليه والتمتُّع به.

3. يَصِل المسار الثّقافيّ ويربط مابين الجغرافيا وممتلكات تراثيّةٍ شديدة التفاوت بما يشكِّل وحدةً متكاملة. وترتبط المسارات الثّقافيّة ومحيطها بمشاهِدها، الطّبيعيّة أو الثّقافيّة، المختلفة، والتي لاتتعدّى كونها أحد مكوّناتها، والتي تكتسِب مميِّزاتها الخاصّة وهويّاتها تبعاً للمناطق والأقاليم المختلفة التي تمرّ عبرها هذه المسارات في خط سيرها. كما تُسهِم المشاهِد المختلفة في تمييز القطاعات المتنوّعة من المسار كوحدةٍ متكاملة بما يحقق الإثْراء لهذه الوحدة وللتنوّع في القطاعات.
4. تأتي العلاقة مع الطّبيعة على جانبٍ خاصٍّ من الحساسيّةِ في بعض القطاعات، وفي قطاعاتٍ أخرى تأتي للعلاقة مع البيئة الحضَريّة أو الرّيفيّة، أمّا في المناطق التي تقوم فيها معالم معماريّةٌ منعزلةٌ عن المباني الأخرى (كالمصلّيات، والأديرة، والنوافير، والجسور، ومعابر الحدود، إلخ.)، تصبح علاقة هذه المعالم المعماريّة مع محيطها المشهَديّ (Landscape Setting) هي ما يُشكِّل طبيعة ذلك القطاع من المسار الثّقافيّ.
5. تتطلب حماية والحفاظ على المسارات الثّقافيّة معرفةً متعمِّقةً بالمُميِّزات التّاريخيّة، والطّبيعيّة، والثّقافيّة لجِوارها، ويجب لأيِّ تدخّلٍ قد يكون ضروريّاً أن يتناسب مع هذا السياق وأن يراعي خصائصه المحدَّدة بما يُيسِّر فهمها دون تشويه المشهد التّقليديّ، سواءً كان طبيعيّاً، أو ثقافيّاً، أو مختَلَطاً.
6. يجب القيام بترسيم حدود محيط المسار الثّقافيّ، وكذلك التعليم الواضح لحدود منطقةٍ (نطاق) عازلةٍ (Buffer Zone) محدَّدةٍ ومُقنَّنة، ما من شأنه أن يُمكِّن لحفظ القيم الثّقافيّة المادّيّة وغير المادّيّة المتضمَّنة في حيِّزها في كامل أصالتها وتكامليّتها. كما يجب لهذه الحمايةِ أن تشمل قيَم المشاهِد المختلفة التي تُشكِّل جزءاً من المسار الثّقافيّ وتُضفي عليه جوّه المميِّز.

مؤشرات نوعيّة

يجب نَظَر ما يلي باعتباره مؤشراتِ تمييزٍ أساسيّةٍ قابلةٍ للتطبيق لفئة المسار الثّقافيّ (كأحد فئات التّراث الثّقافيّ): بِنْية المسار وطبقات أساسه الفيزيائيّة ماتحت السّطح وكذلك البيانات التّاريخيّة عن استعماله في تحقيق هدفٍ مُحدَّد؛ أيّ هياكل فيزيائيّة (مادّيّة) متّصلة بالهدف والوظيفيّة المُحدَّديْن للمسار الثّقافيّ؛ عناصر الاتّصال، ووجود تجلّيات ثقافيّة ذات أصل مُتبادَل على طول المسار (أو في نقاط معيَّنة منْه) كممارساتٍ، وتقاليد، وعادات، واستعمالاتٍ شائعة ذات طبيعة دّينيّة، أو طّقسيّة، أو لّغويّة، أو احتفاليّة، أو طَهَويَّة، أو ما إلى ذلك؛ التّأثيرات التبادُليّة في الموسيقى، والأدب، والعمارة، والفنون الجميلة، والحرف اليدويّة، والمُنجَزَات العلميّة، والمهارات الفنّيّة والتّقنيّة، وغيرها من الأصول الثّقافيّة المادّيّة وغير المادّيّة التي يعتمد فهمها الكامل على الوظيفة التّاريخيّة للمسار الثّقافيّ.

أنواع المسارات الثّقافيّة

يُمكِن تصنيف المسارات الثّقافيّة كما يلي:

- وفقاً لمجالها الحيازيّ (Territorial Scope): المحلّيّ، أو الوطنيّ، أو الإقليميّ، أو القارّيّ، أو عبر القارّيّ.
- وفقاً لمجالها الثّقافيّ: ضمن إقليمٍ ثقافيٍّ مُعيَّن أو ممتدٍّ عبر مناطق جغرافيّةٍ مختلفةٍ كانت أو ما زالت تتبادل عمليّة تأثيراتٍ تبادليّةٍ في تشكيل أو تطوُّر القيَم الثّقافيّة.
- وفقاً لأهدافها أو وظيفتها: الاجتماعيّة، أو الاقتصاديّة، أو السّياسيّة، أو الثّقافيّة. ويُمكِن العثور على مثل هذه المميّزات مُتبادَلةً عبر سياقٍ متعدّد الأبعاد.
- وفقاً لأمَدِها من الزمن: كتلك المسارات التي لم تعد مستعملةً في مقابل المسارات المستمرّة في التّطوُّر تحت تأثير التّبادُلات الاجتماعيّة الاقتصاديّة، والسّياسيّة، والثّقافيّة.
- وفقاً لتركيبها البنيويّ: خطّيّ، أو دائريّ، أو صليبيّ، أو إشعاعيّ، أو شبكيّ.
- وفقاً لبيئتها الطّبيعيّة: محيط فيزيائي برّيّ، أو بَحَريّ (مائيّ)، أو مختَلَط، أو آخر.

التّعيين، والتكامليّة، والأصالة

- **المؤشّرات الأوّليّة**

لأغراض التّعيين والتّقدير، يُمكِن مبدئياً اعتبار الجوانب التّالية دلائل أوّليّةً غير قاطعة على وجود مسارٍ ثّقافيٍّ:

- تعبيراتٍ (مظاهر) لعمليّاتٍ ديناميكيّةٍ اجتماعيّةٍ، واقتصاديّةٍ، وسياسيّةٍ، وثقافيّةٍ قد أنتَجَت بدورها تبادلاتٍ بين المجموعات الثّقافيّة المختلفة في المناطق ذات الارتباط؛
- خصائص مميِّزةٍ تتبادَلُها مناطق جغرافيّةٌ وثقافيّةٌ مختلفة ومتّصلة فيما بينها بروابط تاريخيّة؛
- أدلّةٌ على التنقُّل وعلى علاقاتٍ توثَّقت بين شعوبٍ ومجموعاتٍ عرقيّةٍ من ثقافاتٍ مختلفة؛
- خصائص ثقافيّةٍ محدّدةٍ متأصّلةً في الحياة التّقليديّة لجماعاتٍ مختلفة؛
- عناصر تراثيّةٍ وممارساتٍ ثقافيّةٍ – كالمراسِم، والمهرجانات، والاحتفالات الدينيّة التي تمثّل القيَم المتبادَلة للجماعات المختلفة ضِمْن منطقةٍ أو مناطق ثقافيّةٍ وتاريخيّةٍ معيَّنة – مرتبطةٍ بدلالة ووظيفيّة المسار.

- **عملية التّعيين**

من الضروريّ لعمليّة تعيين المسار الثّقافيّ أن تولي الاعتبار لوظيفيّته الخاصّة في خدمة غَرَضٍ محدّدٍ ومُقَرَّر بشكلٍ جيد، والقيَم الملموسة وغير الملموسة للتراث التي تولّدت ديناميكيّاً كنتيجةٍ لتأثيراتٍ ثّقافيّةٍ تبادُليّة، وتركيبه البنيويّ، وسياقه الجغرافيّ والتاريخيّ الكُلّيّ، ومحيطه الطّبيعيّ والثّقافيّ، سواءً كان الأخير حضَريّاً أو ريفيّاً، وما يقابل ذلك من قيَمِه البيئيّة المميِّزة، وعلاقاته بالمشهَد، وأَمَده عبر الزمن، وبعده الرّمزيّ والرّوحيّ، كلّ ذلك من شأنه أن يسهم في تعيينه وفهم دلالته.

تُعَدُّ الأصول غير الملموسة لمسارٍ ثقافيٍّ أساسيّةً لفهم دلالته وقيَمه التّراثية الاتصاليّة (Associative Heritage Values). ومِن ثَم يجب دوماً للجوانب المادّيّة أن تتم دراستُها بالارتباط مع قيمٍ أخرى ذات طبيعةٍ غير ملموسة.

لغرض إجراء تقييمٍ مقارَن، ينبغي إيلاء الاعتبار أيضاً للأمَد الزّمنيّ والدّلالة التّاريخيّة للقطاعات المختلفة من المسار بالنسبةِ إلى الوحدةِ المتكاملة.

في حالة المسار الثّقافيّ الحيّ، ينبغي المحافظة على العلاقات والوظائف الديناميكيّة المتّصلة بالغَرَض المحدّد والمُقَرَّر بشكلٍ جيد والذي أدى إلى إيجاد المسار، ويُسهم في تحديده وتعيينه، حتى إذا ما خَضَعت العمليّات التّاريخيّة لتغييرٍ عبر الزمن وتم تضمين عناصر مُستحدَثَة. وينبغي أن يجري تقييم هذه العناصر المُستَحدَثَة ضِمْن إطار علاقتها الوظيفيّة بالمسار الثّقافيّ، وقد يحصل أن يتعذَّر اعتبار ممتلكاتٍ تحمِل قيماً تراثيّةً في ذاتها من مكوّنات المسار الثّقافيّ لأنها لا تُشَكِّل جزءاً منه.

- **الأصالة**

ينبغي لكلّ مسارٍ ثقافيٍّ أن يستوفي معايير الأصالة بما يعبّر بوضوحٍ ومصداقيّةٍ عن قيمتِه من حيث كلٍّ من بيئته الطّبيعيّة والثّقافيّة، وفيما يخُصُّ كلاً من عناصره المحدِّدة وخصائصه المميِّزة ذات الطّبيعة المادّيّة واللامادّيّة:

- يجب تطبيق هذه المعايير على كلّ قطاعٍ قيد الدّراسة لتقدير دلالته بالنسبة إلى المعنى الكلّيّ للمسار على مدى تطوّره التاريخيّ، وللتحقق من أصالة نَسَقه الهيكليّ (Structural Layout) من خلال بقايا طريقه.
- يجب أن تتّضِح الأصالة أيضاً في السّياق الطّبيعيّ والثّقافيّ لكلّ امتدادٍ للمسار الذي يخضع للتّحليل والتّقدير، وكذلك في العناصر التّراثيّة الأخرى الملموسة وغير الملموسة المتضمَّنة في وظيفيّته التّاريخيّة ومحيطه.
- حتى إن لم تكن الآثار المادّيّة للمسار الثّقافيّ في قطاعاتٍ معيَّنة محفوظةً بشكلٍ واضِح، فمن المُمكِن إظهار وجوده في هذه المناطق من خلال علم التّأريخ (Historiography)، والعناصر غير الملموسة والمصادر غير المادّيّة للمعلومات التي من شأنها أن تثبت معناها الحقيقيّ كمكوّناتٍ أساسيّةٍ من ذلك المسار، وأن تُبرهِن على أصالته.
- يجب للأساليب والمنهجيّات المُستخدَمة لحماية المسارات الثّقافيّة والحفاظ عليها وإدارتها، سواءً تقليديّةً أو مُستحدَثَة التّنفيذ، أن تراعي معايير الأصالة.

- **التكامليّة**

يجب أن يعتمِد التّحقّق من التكامليّةِ في مسارٍ ثّقافيٍّ بالضرورةِ على مجموعةٍ تمثيليّةٍ من كلٍّ من الأدلّة والعناصر الملموسة وغير الملموسة بما يكفي لتكون شاهداً على دلالته وقيمته العالميّة كوحدةٍ متكاملةٍ، ولتضمَن التّمثيل الكامل لخصائص ولأهمّيّة العمليّات التّاريخيّة التي أنتَجَت المسار الثّقافيّ.

يجب المحافظة على الأدلّة على العلاقات التّاريخيّة والوظائف الديناميّة (الحيويّة) والتي تُعَدُّ أساسيّةً للطّابع المُمَيِّز للمسار الثّقافيّ. كما يجب توخّي الحرص على جودة الحالة لنسيجه الفيزيائيّ (المادّيّ) و/أو خصائصه ذات الدلالة، وعلى مراقَبَة (السّيطرة على) آثار عمليات التدهور، والتأكُّد من ما إذا كان المسار يعكس أيّة تأثيراتٍ جانبيةٍ مُحتَمَلة للتّنمية، أو الهَجْر، أو الإهمال أم لا.

المنهجيّة

يتطلَّب مفهوم المسار الثّقافيّ منهجيّةً خاصّةً للبحث العلميّ، والتّقدير، والحماية، والحفظ، والحفاظ، والاستعمال، والإدارة. ونظراً لاتّساعه ولقيَمته كوحدةٍ متكامِلة، وكذلك لأبعاده الحيازيّة، تتطلّب هذه المنهجيّة إنشاء منظومةٍ من النّشاطات المنسّقة والمدارة بطريقةٍ متكاملة.

من الضروريّ أن يتزامن التعيين لكلٍّ من المسار كوحدةٍ متكاملةٍ وقطاعاته المنفردة، مع الحَصْر للأصول التي تشكِّله والتحليل لحالة الحفاظ عليها (State of Conservation) ما من شأنه التمكين لصياغة خطّةٍ إستراتيجيّةٍ لحفظه؛ على أن تتضمَّن هذه الخطّة بالضرورةِ إجراءاتٍ لرفع الوعي بشأن المسار الثّقافيّ ولخلْق اهتمامٍ به مابين المؤسّسات العامّة والخاصّة. كما تتطلّب هذه الخطّة صياغة إجراءاتٍ منسّقة وأدواتٍ قانونيةٍ خاصّة لحماية، واستعمال، وإدارة جميع عناصره كأجزاءٍ أساسيّة من قيمة ودلالة المسار كوحدةٍ متكاملة.

1. البحث العلميّ

يُمكِن أن تمتدَّ دراسةُ المسارات الثّقافيّة عبر مناطق جغرافيةٍ مختلفة، وقد تكون مُترامية التَّباعُد عن بعضها البعض، ومن ثَم يُنصح بتشكيل عدَّةِ فِرَقٍ للبحث العلميّ تتمركز في النقاط المُميِّزة الرّئيسيّة للمسار قيد الدّراسة.

يجب لمنهجية البحث العلميّ، إلى جانب اعتماد الممارسات وإرفاق المؤشّرات بما يُحقِّق تعييناً وتقديراً ملائميْن للقيَم التّراثيّة في القطاعات المختلفة من المسار الثّقافيّ، ألا تنْصَرِف عن معنى المسار كوحدةٍ متكاملةٍ من أجْل تجنب أيّ فقْدٍ في المعنى أو الدلالة التاريخيّة للمسار.

ينبغي أن تتشكّل فرق البحث العلميّ العاملة على هذه الفئة من التّراث الثّقافيّ على أساسٍ من تعدُّد الاختصاصات والتعاون البينيّ. ويجب وضعُ معاييرَ مشتَرَكةً (عامّة) للعمل على أساس مبدأ الشروع بفحْصٍ للأجزاء، ولكن دون الانصراف عن المشروع كوحدةٍ متكاملة. وبالمثل، يجب استخدام أدواتٍ منهجيّة مشتَرَكة – تخضع مُسبقاً للتوحيد القياسيّ – لجمع البيانات. كما يجب أن تتضمَّن خطّة المشروع آلياتٍ للتنسيق والتعاون فيما بين الباحثين بما يُتيح تناقل البيانات حول عمل ومُنجَزات كلٍّ من الفِرَق.

يجب أن يضع الباحثون في الاعتبارَ أن حضور أنواعٍ مختلفةٍ من ممتلكات التّراث الثّقافيّ على امتداد طريق المسار الثّقافيّ لا ينطوي (في حد ذاته ولا عَنْه) على أنها بالضرورةِ تُشكِّل مكوِّناتٍ متكاملةً لذلك المسار، أو موضوعاً ملائماً للدّراسة فيما يتعلق به؛

إذ أن العناصر الوحيدة التي يجب إبرازها في الفحص العلميّ للمسار الثّقافيّ هي تلك المُرتبطة بالهدف المحدَّد للمسار وبأيّة تأثيراتٍ ناشئةٍ عن ديناميّته الوظيفيّة.

2. التّمويل

بالنظر إلى نطاق المهام المرتبطة بالتعيين وإبراز القيمة لمسارٍ ثّقافيّ مُتَرامي، ينبغي التحصُّل على التمويل بشكلٍ مرحليّ، بما يتيح تحقيق سيرٍ متوازنٍ ومُنسَّقٍ للمشروعات البحثيّة، وكذلك لمشروعات الحفظ، والاستعمال، والإدارة لمختَلَف قطاعاته. ويُنصح في هذا الصَّدد بالتّشارك في تقدير القيَم التي يجب حفظها لأن ذلك من شأنه أن يفسِح المجال لضبْط مقياسٍ لأولويّات العمل، ولتنفيذ ما يقابلها من الاستراتيجيّات. الأمرُ الذي يتطلّب بدوره التحصُّل على التّمويل من خلال اتفاقيات تعاونٍ ثنائيّةٍ أو متعددة الأطراف، وكذلك عن طريق إنشاء كياناتٍ مكرّسةٍ بشكلٍ خاصّ لبحث وإبراز قيمة المسار. وعلى نفس المنوال، ينبغي أن تضطلع الكيانات الإقليميّة التي تتقاطع اختصاصاتها جزئيّاً أو كلّياً مع الطريق التّاريخيّ للمسار الثّقافيّ بتقرير الكيفيّة المُثْلى لنَيْل اهتمام الدّول المعنيّة والحصول على تعاونها. كما أنه من الضروريّ، إن أمكن، السعْي لاجتذاب تعاوُن المؤسّسات الخيريّة والجهات المانِحة من القطّاع الخاصّ.

3. الحماية - التّقدير - الحفظ/الحفاظ

تتطلّبُ المسارات الثّقافيّة ومحيطها أدواتٍ جديدةً لتقديرها، وحمايتها، والحفاظ عليها، وتقييمها؛ إذ أنه من غير الكافي ضمان (اعتماد) حماية عناصرها التّراثيّة على أساسٍ جزئيٍّ أو عشوائيٍّ. ويجب أن يَجري إعداد قوائم حَصْرٍ دقيقةٍ لهذه العناصر، وكذلك التقدير لأصالتها وتكامليّتها لكيّ يتسنّى تعيين الآثار التي قد تقع على قيَم المسار الثّقافيّ ومن ثَم على دلالته. كما أنه من الضّروري أيضاً مراقبة الأثر الناجم عن عمليّات التّدهور، وصياغة إستراتيجيةٍ لدرْء التّأثيرات العكسيّة للتّنمية والإهمال. ويتطلَّبُ جميع هذه المهام إنشاء منظومةٍ من الإجراءات القانونيّة المنسَّقة والأدوات الملائِمة بما يكفُل الحفظ للمسار والإبراز لقيمته ودلالته بطريقةٍ شموليّة (Holistic). هذا، ويُعَدُّ فهْم القيَم التّراثيّة جوهريّاً قبل أيّ تدخّلٍ على المسارات الثّقافيّة من شأنه أن يؤثّر على/يغيِّر في دلالتها.

4. الاستعمال المستدام - العلاقة مع النشاطات السّياحيّة

فيما يخصُّ الاستعمال، فيُمكِن أن يتم استعمال المسار الثّقافيّ لتعزيز نشاطٍ ذي فائدةٍ اجتماعيّةٍ واقتصاديّةٍ لها أهميّةٌ استثنائيّةٌ في تحقيق تنميةٍ مستقرّة.

يجب تَوَخّي الحذر اللازم لتجنُّب الخلط بين مفهومي المسارات السياحيّة من جهة - بما فيها تلك التي تُحقِّق فائدةً ثقافيّة - والمسارات الثقافيّة من جهةٍ أخرى. كما يجب إقرار أن المسار الثّقافيّ يُشكِّل واقعاً قد يحمِل أهمّيّةً كبرى في التّرابط الحيازيّ (Territorial Cohesion) والتّنمية المستدامة. من هذا المُنطَلَق، يجب بذلُ الجهود لنشر المعرفة حول المسارات الثّقافيّة، وحول استعمالها الملائِم والمستدام في الأغراض السّياحيّة، واعتماد الإجراءات الملائمة التي تستهدف إزالة المخاطر. ولهذا الغرض، يجب للحماية والترويج للمسار الثّقافيّ أن تُحقِّق (بتَنَاغُم) دمجاً مابين البنْية الأساسيّة المُكمِّلة - للنشاطات السياحية، ومسارات الولوج، والإطّلاع، والتفسير، والعرض - واستيفاء الشّرط الأساسيّ الذي يقضي بعدم تعريض معنى، وأصالة، وتكامليّة القيَم التاريخيّة للمسار الثّقافيّ لأيّ خطر كونها العناصر الرّئيسيّة التي تُنقَل للزّوار. ينبغي أن تُدار الزّيارات السّياحية على أساسٍ منطِقيّ (رشيد) وفقاً لدراساتٍ مسبَقة للأثر البيئيّ، وخططٍ للاستخدام العموميّ والمشاركة المجتمعيّة، وكذلك وفقاً لإجراءاتٍ للمراقَبَة والمتابَعة تستهدف درْء التّأثيرات السّلبيّة للسّياحة.

ينبغي أن يضمن تطوير المسار الثّقافيّ لأغراض السّياحة إعطاء الأولويّة في جميع الأحوال لمشاركة الجماعة المحلّيّة وشركات السّياحة المحليّة والإقليميّة. ويجب بذل كلّ الجهود لمنع خلْق احتكاراتٍ من قِبَل شركاتٍ دوليّةٍ ضخمة أو شركاتٍ نافذةٍ تقع في الدّول الأكثر تقدّماً ضِمْن التي يمرُّ خلالها الطريق التّاريخيّ للمسار الثّقافيّ.

بالنظر إلى حقيقةِ كون المسار الثّقافيّ أداةً للتعاونِ والتفاهمِ تُقدّم قراءةً شموليّةً لتّلاقي الثّقافات والحضارات التي تُشَكِّله، يجب علينا أيضاً أن نضع في الاعتبار أنه بصرْف النظر عن الأهمّيّة النّسبيّة لكلّ جزءٍ من أجزائه، فإن التّرويج للتّطوُّرات الإيجابيّة في كلٍّ منها يؤدّي إلى زيادة الاهتمام بالمسار والعوائد على الأجزاء الأخرى.

5. الإدارة

يُعَدُّ "فَهْم دلالة المسارات الثّقافيّة" المبدأ الأساسيّ/الجوهريّ الذي يتَّصِل بإدارة المسارات الثّقافيّة. الأمرُ الذي ينطوي على ضمان اتّباع أسلوب تنسيقيّ وتناغُميّ في الاضطلاع بجميع الأنشطة المرتبطة ببحْثِها، وتقديرها، ونشر المعرفة حولها في المحيط الاجتماعيّ. كما يتطلّب أيضاً تنسيقاً تبادُليّاً بما يكْفُل تضافر السّياسات المرتبطة بالحماية، والحفظ، والحفاظ، والتّنظيم الحيازيّ، والتّنمية المستدامة، والاستعمال والسّياحة. ومن ثَم لابد من إعداد مشروعاتٍ مشتَرَكة بما يكفل تّنميةً مستدامةً على الصَعيديْن الوطني (المستوى المُقاطَعيّ، والإقليميّ، والمحليّ، إلخ.) والدّولي، وكذلك استحداث أدواتٍ للإدارةِ مصمّمةً لحماية المسار من الكوارث الطّبيعيّة وجميع أنواع المخاطر التي من شأنها أن تؤثر على تكامليّة وأصالة (وبالتّبعيّةِ على دلالة) المسار الثّقافيّ.

6. مشاركة الجمهور العام

تستدعي الحماية، والحفاظ/الحفظ، والترويج، والإدارة للمسار الثّقافيّ تنشيط الوعي العامّ وتحفيز مشاركة قاطني المناطق التي تتشارك في المسار.

التّعاون الدّولي

هناك أمثلةٌ بارزةٌ على المسارات الثّقافيّة التي تَجمَعُ طُرُقُها التّاريخيّة مابين عدّةَ دول، الأمرُ الذي يجعل التّعاون الدّوليّ ضرورياً في جهود البحث، والتقدير، والحفظ للأصول التي تُشكّل المسارات الثّقافيّة الدّوليّة.

إذا ما وُجِدَت المساراتُ الثّقافيّة التي تجمع مابين دولٍ على مستوياتٍ متفاوتةٍ من النُمو، فمن المُزَكّى أن تضطلع الدّول الأكثر تقدماً بتوفير سُبُل التّعاون الاقتصاديّ، والتقنيّ، واللّوجستيّ، وكذلك تقديم المساعدة في تبادُل المعلومات، والخبرة، والباحثين.
يُعّدُّ التزام يونسكو والمنظّمات الدّوليّة الأخرى للاضطلاع بتطوير آلياتٍ للتّعاون (الماليّ، والتقنيّ، واللّوجستيّ) أمراً مُرَغَّباً بشدّةٍ للمساعدة في تشجيع وتنفيذ المشروعات المرتبطة بالمسارات الثّقافيّة والتي تُلاقي اهتمام أكثر من دولة.
يجب أن يُنظر إلى المسارات الثّقافيّة على أنها رموزٌ للوحْدَةِ بين الشّعوب. ويُمكِنُ للأواصِر التّاريخيّة التي نَمَت على امتداد المسارات الثّقافيّة أن تَخدُم المشروعات المبنيّة على تعاونٍ مُستَجدٍّ مابين الشعوبِ التي تبادَلَت قيَماً ومعارف معيَّنةً في الماضي.

في سابقةٍ هي الأولى من نوعها، وضِمْن إطار الشراكةِ ما بين إيكوموس وإيكروم-الشارقة، يقدِّم هذا المنشور النسخةَ العربيّة لمجموعةٍ كبيرةٍ مُنتقاة من المواثيق الدوليّةِ الصادرة عن والمعتمَدة من إيكوموس في حفظ وترميم المعالم والمواقع التاريخيّة، والتي تُعدُّ نصوصاً تأسيسيّةً في مجال التخصص تحدِّد بوضوحٍ ما اتُّفِق عليه دولياً من المفاهيم الرئيسيّة، وأُطُر العمل، والممارسات المثْلى القياسيّة لحماية وصون التراث الثقافيّ بجميع أشكاله وتصنيفاته على مستوى العالم. وقد روعيَ في انتقاء ما يُترجَم من نصوص ملائمتها لتلبية احتياجات وشواغل الحفظ والتنمية، وأشكال وأنماط التعبير والتراث الثقافيَّين السائديْن ضِمْن النطاق الجغرافيّ الناطق بالعربيّة. كما أن هذا المنشور، علاوةً على كونه يشكِّل إضافةً للمكتبةِ العربيّة، من شأنه أن يسهم في إيصال ونشْر وتوطين تلك المفاهيم والأُطُر والممارسات في أوساط الخبراء، والممارسين، والأكاديميين، والباحثين، والمشرِّعين المحليِّين والإقليميِّين المعنيِّين على مستوى المنطقة العربيّة بما يخدم الارتقاء بحماية وصون تراثها الثقافيّ. روعي في تقديم النصوص توضيح المفاهيم والمبادئ الأساسية وتم من خلال عمل شارك به العديد من المختصين في أعمال الترجمة والمراجعة والتنقيح، كما تم إضافة مسرد بأهم هذه المفاهيم لتوضيحها باللغة العربية بما يلائم احتياجات المنطقة لذلك.

ICOMOS
international council on monuments and sites

المجلس الدوليّ للمعالم والمواقع - إيكوموس
11 rue du Séminaire de Conflans
94220 Charenton-le-Pont
France
www.icomos.org

ICCROM SHARJAH

إيكروم-الشارقة (المكتب الإقليمي لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي)
صندوق بريد 48777، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 2250 555 6(0) 971+
فاكس: 2213 555 6(0) 971+
www.athar-centre.org | www.iccrom.org

9 789290 773016 >